بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ، أَمَّا بَعْدُ : فهذه خطبتي : «صَوْمُ عَاشُورَاءَ وَالرَّدُّ عَلَى مُنْكِرِهِ» ، وقد عدَّلتُ فيها – بفضلِ الله ومنَّته – قليلًا بعد تفريغِها ، وعزوتُ النقولات إلى مصادرها ، كما ميَّزتُ تعليقي على بعضِ النقولات عن الأئمة بلون آخر ؛ لئلا يتداخل مع متن كلامهم – رحمهم الله – ، وأسألُ اللهَ – تبارك وتعالى – أن ينفع بهذه الخطبة صاحبها ، والناظر فيها ، وأن يهدي بها ضَالَّ المسلمين .

كَتَبَهُ/ أَبُو هَمَّامٍ أَحْمَدُ بْنُ إِيهَابٍ الْمِصْرِيُّ

لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ 1436/1/11هـ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلّهِ نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللّهِ – تَعَالَى – مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:102] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71] .

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أَمَّا بَعْدُ : «فإنَّ من شَرَفِ الشهرِ الأوَّلِ من شهور السنة القمرية أنْ نَسَبَهُ النبيُّ ﷺ إلى ربِّه ، ونَعَتَهُ بالشهر الحرام في قوله ﷺ : «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ المحَرَّمُ» ، والمعلومُ أنه لا يُضِيفُ اللهُ إليه إلاَّ خواصَّ مخلوقاته على سبيل التشريف والتفضيل»[1].

قال العلامةُ ابنُ رجبٍ – رحمه الله – : " وهذا الحديثُ – يعني : حديثُ أبي هريرة ﷺ الذي خرجه مسلمٌ في صحيحه عن النبي ﷺ قال : «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ المحَرَّمُ» – صريحٌ في أن أفضلَ ما تُطُوِّعَ به من الصيام – يعني : مطلقًا – بعد رمضان صوم شهر الله المحرم

(1) انظر : مقال «شهر الله المحرم : سنن ومبتدعات» للشيخ مُحَمَّد علي فركوس ؛ بموقعه .

"[2]. اهـ

والمعنى : أن شهرَ اللهِ المحرم الذي بين ذي الحجة وصفر أفضلُ الشهور للصوم بعد شهر رمضان ؛ فلا تحرموا أنفسكم – عباد الله – هذا الفضلَ الكبيرَ ، خاصَّةً وهو أحدُ الأشهر الحرم التي قال اللهُ – تبارك وتعالى – فيها : ﴿فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة : 36] ؛ يعني : بارتكاب بالذنوب وعدم تقوى الله وخشيته في السر والعلن .

وفي شهرِ اللهِ المحرم يوجدُ يومُ عاشوراء – يعني : اليوم العاشر من شهر الله المحرم – ، وهذا اليومُ صار الناسُ فيه فرقًا متعددةً ما بين مبتدعٍ ومتَّبع ، ومن المناسبِ في هذا المقام : ذكرُ بعضِ ما يتعلقُ بهذا اليوم ، لا سيما وقد انتشر قبل أيامٍ في الإنترنت مقطعٌ بالصوت والصورة – كما يقال – لِدَعِيٍّ لا يعرفُ كُوعَه من بُوعِه ، يقولُ فيه – كفى الله المسلمين شره ؛ وقد سُئِلَ عن صيامه عاشوراء هذا العام – ، قال – وأعتذرُ عن لغتِه – : " مِشْ هاصُومْ عاشورا ؛ عشان أصلًا مَفِيشْ عاشورا ، دِيه أُكذوبةْ عاشورا ، طِلِعْنَا وِاتْرَبِّينَا مِنْ وِاحْنَا اصْغَيَّرِينْ إِنِّ يُومْ عاشورا هُوَّ يُومْ صِيَامْ ، وِجَابُوا أدلةْ من السنة ، وبعدْ بحثْ اكتشفتْ إِنِّ مَفِيشْ حاجة اسْمَهَا عاشورا ، وهِي أُكذوبةْ ، والحديثْ دَه حديثْ موضوعْ ، ولا أَصْلَ له " . انتهى كلامُ هذا الغِرِّ .

فأقولُ : حسبنا اللهُ ونعم الوكيل ، وقد صحَّ عن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال : " إن التكذيبَ بحديثٍ عن رسولِ اللهِ ﷺ نفاقٌ "[3].

ورحم اللهُ الإمامَ أبا المظفَّرِ السمعاني إذ قال : " وما يقولُ هذا إلا جاهلٌ ضالٌّ مبتدعٌ كذابٌ يريدُ أن يُهَجِّنَ بهذه الدعوى الكاذبة صِحَاحَ أحاديثِ النبيِّ ﷺ وآثارِه الصادقة ، فيُغَلِّطَ جُهَّالَ

---

(2) انظر : لطائف المعارف ، تحقيق ياسين مُحَمَّد السواس ، صـ77 ، دار ابن كثير ، ط/5–1420هـ .

(3) انظر : صحيح سنن ابن ماجه للعلامة الألباني ، جـ1/رقم266 ، مكتبة المعارف ، ط/1–1417هـ .

الناس بهذه الدعوى ، وما احتجَّ مبتدعٌ فِي رَدِّ آثارِ رسولِ اللهِ ﷺ بحجةٍ أوهى منها ، ولا أشدَّ استحالةٍ من هذه الحجة ، – قال – فصاحبُ هذه الدعوى يستحِقُّ أن يُسَفَّ فِي فيه الرَّمَاد ، ويُنْفَى من بلادِ الإسلام "[4]. اهـ

قلتُ : ويمكنُ تلخيصُ حالِ هذا الرويبضة ومَن على شاكلته بقول أبي المظفر السمعاني – رحمه الله – إذ قال : " وأما سائرُ الفرق : فطلبوا الدين لا بطريقه لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطرهم وآرائهم ، فطلبوا الدين من قبله ، فإذا سمعوا شيئًا من الكتاب والسنة ، عرضوه على معيار عقولهم ، فإن استقام قبلوه ، وإن لم يستقم فِي ميزان عقولهم ردوه ، فإن اضطروا إلى قبوله حرَّفوه بالتأويلات البعيدة ، والمعاني المستنكرة ، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه ، ونبذوا الدين وراء ظهورهم ، وجعلوا السنة تحت أقدامهم – تَعَالَى الله عما يصفون – .

وأما أهلُ الحق : فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم ، وطلبوا الدين من قبلهما ، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم ، عرضوه عَلَى الكتاب والسنة ، فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه ، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفَّقَهُمْ عليه ، وإن وجدوه مخالفًا لهما تركوا مَا وقع لهم ، وأقبلوا على الكتاب والسنة ، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم ، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق ، ورأي الإنسان قد يُرِى الحق ، وقد يُرِى الباطل "[5]. انتهى كلامُ أبي المظفر السمعاني – رحمه الله –

ولنشرعِ الآن في بيانِ المقصودِ – والله المستعان – :

1– أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ – رَحِمَهُمَا اللهُ – عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ : " مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمٍ فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا هَذَا الْيَوْمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَهَذَا الشَّهْرَ يَعْنِي

---

(4) انظر : فصول من كتاب الانتصار لأصحاب الحديث ، جمع فصولها وعلق عليها : مُحَمَّد بن حسين الجيزاني ، صـ57 ، مكتبة أضواء المنار بالمدينة المنورة ، ط/1–1417هـ .

(5) انظر : المصدر السابق ، صـ44–45 .

شَهْرَ رَمَضَانَ " .

قولُه : «يتحرى» ، أي : يتأكدُ من دخولِ هذا الشهر بعد شهرِ ذي الحجة ، وهذا في غاية الرَّوْعَة ، فإنه يُفِيدُ أن النَّبِيَّ ﷺ يَحْسبُ له الْحُسْبَان ويَعُدُّ له العُدَّة ، يتجهَّزُ له من أجل اغتنامِ هذا الوقتِ الشريف ، فَلْتَعْتَنُوا – عبادَ الله – بهذا الوقت المبارك ، ولا تُضَيِّعُوا أوقاتكم ، بل ولا تحرموا أنفسكم هذا الوقتَ الفاضل .

قال ابنُ حجر – رحمه الله – في «الفتح» : " وَإِنَّمَا جَمَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – بَيْنَ عَاشُورَاءَ وَرَمَضَانَ – يعني : في قوله ﷺ أنه كان يتحرى صيام يوم عاشوراء من الأيام ، وشهر رمضان من الأشهر – وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا وَاجِبًا – يعني : رمضان – وَالْآخَرُ مَنْدُوبًا – يعني : مستحبًّا وهو عاشوراء – لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي حُصُولِ الثَّوَابِ ؛ لِأَنَّ مَعْنَى " يَتَحَرَّى " أَيْ : يَقْصِدُ صَوْمَهُ لِتَحْصِيلِ ثَوَابِهِ وَالرَّغْبَةِ فِيهِ "[6]. اهـ

معنى الكلام : أن النبي ﷺ كان شديدَ العناية بصومِ يوم عاشوراء لأجل أن يتحصَّل على هذا الأجر ، وهو ﷺ مع ما بلغ من رتبةِ مغفرةِ ما تقدَّم وما تأخر من ذنبه إلا أنه يريدُ أن يُشْحِذَ هِمَمَ المسلمين لأجل ألا يُفَوِّتُوا هذا الأجر العظيم .

2– وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ – رَحِمَهُمَا اللهُ – عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – قَالَتْ : " كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا قَدِمَ المدينة صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ " .

فأفاد هذا الحديثُ الشريف :

أولًا : أن النبيَّ ﷺ صام يوم عاشوراء في الجاهلية ، يعني : قبل أن يُبْعَثَ بالرسالة ، بل صامه

(6) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ4/صـ249 ، المكتبة السلفية .

بعد أن بُعِثَ بالرسالة .

وثانيًا : أنه ﷺ لَمَّا وصل المدينة ، وكان ذلك في ربيعٍ الأول من السنة الأولى من الهجرة أَمَرَ بصيامه ؛ فانتبه لهذا – رحمك الله – .

وثالثًا : أن صومَ عاشوراء كان فريضةً على المسلمين قبل رمضان ، ثم صار نفلًا بعد رمضان ، وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة ، ولم يَصُمِ المسلمون عاشوراء فرضًا إلا مرةً واحدةً في المحرم من هذه السنة .

3- وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ – رَحِمَهُمَا اللهُ – عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – ، قَالَ : " قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، فَصَامَهُ مُوسَى ، قَالَ : فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ " .

أفاد هذا الحديث الشريف :

أولًا : أنه ﷺ بعد أنْ قَدِمَ المدينة مهاجرًا في شهر ربيعٍ الأول من السنة الأولى ، وجد اليهود في العام الثاني الذي بعد قدومه يصومون يوم عاشوراء ، فسألهم عن سبب صيامِهم إيَّاه ؛ ولم يكن ﷺ يسألهم لِيَفْعَلَ مِثْلَهُمْ أو لِيُتَابِعَهُمْ في صيامِهم هذا ؛ لأنه أصلًا كان يصومُه في الجاهلية .

وثانيًا : قولُه : «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ» ؛ لماذا ؟!

قال العلامةُ ابنُ عثيمين – رحمه الله – في «شرح رياض الصالحين» : " لأن النبيَّ صلى الله عليه وسلم والذين معه أولى الناس بالأنبياء السابقين ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : 68] ، فرسولُ الله ﷺ أحقُّ بموسى من اليهود ؛ لأن اليهود كفروا به ، وكفروا بعيسى ، وكفروا بمحمد ، فصامه وأمر الناس بصيامه "[7]. اهـ

(7) انظر : شرح رياض الصالحين ، جـ5/صـ304-305 ، مدار الوطن ، ط/1-1427هـ .

وثالثًا : أن المسلمين صاموا عاشوراء فريضةً مرة واحدة في المحرم من السنة الثانية من الهجرة .

ورابعًا : أن النبي ﷺ لم يَصُمْ عاشوراء اقتداءً باليهود ؛ والدليلُ على ذلك : أنه ﷺ كان يصومُه بالفعل في الجاهلية والإسلام – كما تقدَّم – ، فلماذا صامَه النبي ﷺ ؟ ، إنما صامه ﷺ اقتداءً بصوم بموسى ﷺ له شكرًا لله – تبارك وتعالى – أن نجَّاه من فرعون وقومه .

قال العلامةُ مُحَمَّد علي فَرْكُوس – حفظه الله – : " وإذا تقرَّرتْ عدمُ الموافَقةِ لليهودِ ؛ فلا يكون قولُه ﷺ : «فَنَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ» ، بعد استخبارِه لليهودِ إلَّا توكيدًا لصومِه مبيّنًا لليهودِ أن الذي يفعلونه من موافَقةِ موسى – عليه السَّلامُ – نحن أيضًا نفعله ، فحُقَّ لنا أنْ نكونَ أَوْلَى بموسى من اليهودِ "[8]. اهـ

4– وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ – رَحِمَهُ اللهُ – عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – ، قَالُ : " حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ – إِنْ شَاءَ اللَّهُ – صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ " . قَالَ : فَلَمْ يَأْتِ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

فأفاد هذا الحديث الشريف:

أولًا : أن رسول الله ﷺ صام عاشوراء نفلًا تسع سنوات من السنة الثالثة إلى الحادية عشر من الهجرة ؛ إذ إنه ﷺ لم يُدْرِك صومه في السنة الأولى من الهجرة ؛ لأنه قَدِمَ المدينة في ربيعٍ الأوَّل ، وربيعٌ الأوَّل يقعُ بعد المحرم .

وثانيًا : أنه ﷺ قال في آخر سنة صام عاشوراء : «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ – إِنْ شَاءَ اللَّهُ – صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ» ، يعني : مع العاشر ؛ مخالفةً لليهود والنصارى ، إذ تعظيمُ يومِ عاشوراء يكونُ بصومه لا غير ! .

---

(8) انظر : معنى حديث صوم عرفة يكفر سنتين وصوم عاشوراء يكفر سنة واحدة ؛ بموقعه .

وثالثًا : أن النبي ﷺ صام صراحةً العاشر لا التاسع ، ومات على ذلك .

ورابعًا : أن صومَ تاسعواء سنةُ رسول الله ﷺ التي مات عازمًا عليها .

وخامسًا – وهو مزيلٌ للشبهة – : أن قولَه ﷺ : «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع» ؛ لم يكنْ في ذات الوقت الذي سأل اليهود فيه عن سبب صومهم عاشوراء ، بل كان في السنة الحادية عشر التي مات فيها ؛ فكانت مخالفةُ اليهود بصوم التاسع في آخر حياته ﷺ لَمَّا عَلِمَ أن اليهود يعظِّمون هذا اليوم ويبتدعون فيه بأن يجعلوه عيدًا ويفرحون فيه ، والعيدُ – كما هو معلومٌ – لا يُصَامُ فيه ، فعيدُ الفطر وعيدُ الأضحى نهى النبيُّ ﷺ عن الصيامِ فيهما ؛ لأنه عيدٌ ، فلا يجتمعُ العيدُ مع الصيام ، فإذا ما عرفتَ ذلك ؛ فَلْتَعْلَمْ أن المسلمين على خطرٍ كبيرٍ من مشابهةِ اليهود والنصارى بابتداعهم في الدين ما لم يأذن به الله – تبارك وتعالى – من أعيادٍ زمانيةٍ ومكانيةٍ إذا ما أصبحتَ تَعُدُّها ما اسْتَطَعْتَ في التَّوِّ .

5– وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ – رَحِمَهُمَا اللهُ – عَنْ أَبِي مُوسَى – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : " كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَعُدُّهُ الْيَهُودُ عِيدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَصُومُوهُ أَنْتُمْ – يعني : أيها المسلمون – " .

فأفاد هذا الحديث :

أولًا : أن اليهود جعلوا يوم عاشوراء عيدًا مع أن موسى ﷺ لم يجعلْه عيدًا ، بل صامه فقط شكرًا لله – تعالى – ، وهذا من ابتداعهم في الدين ما لم يأذن به الله .

فليت من ابتدعوا في الإسلام من المسلمين بدعةَ الاحتفال بالمولد النبوي أن يَحْذَرُوا التَّشَبُّهَ باليهود والنصارى ؛ إذ لم يجعلِ النبيُّ ﷺ يومَ مولدِه عيدًا ، وإنما جعله للصيام ، كما روى الإمامُ مسلمٌ – رحمه الله – عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أن رسولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ، فَقَالَ : «فِيهِ وُلِدْتُ ، وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ» .

وعليه ؛ فمولدُ النبيِّ ﷺ نصومُه شكرًا لله – تعالى – ؛ كما صامه ﷺ في الخبر ، ولا نحتفلُ به

اتباعًا لقول النبيّ ﷺ : «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ؛ إذ الصومُ ينافي اتخاذُه عيدًا .

وقد يقولُ قائل : إن الاحتفال بالمولد النبوي ليس عيدًا .

فيقال : العيدُ لا يُصَامُ فيه ، فهل أنتم تصومون يومَ مولده – يومَ الإثنين – ؟ ؛ بالطبع لا ؛ فهو – إذن – عيدٌ بلا شك .

نسألُ اللهَ – تبارك وتعالى – أن يغفر لنا ذنوبنا ، أقولُ هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم .

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ، أَمَّا بَعْدُ :

6- فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ – رَحِمَهُ اللهُ – عَنْ أَبِي قَتَادَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَفِيهِ : «وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ» .

وَفِي لَفْظٍ لَهُ : وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، فَقَالَ : «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ» .

فأفاد الحديث :

أولًا : أن صومَ عاشوراء يكفِّرُ اللهُ – تبارك وتعالى – به ذُنُوبَ سنة ماضية ؛ فلا تُفَوِّتُوا هذا الوقتَ الفاضل عليكم .

وثانيًا : أن التكفيرَ – تكفيرَ الذنوبِ – يكونُ للذنوب الصغائر ؛ «فإن لم تُوجَدْ صغائر ، وَوُجِدَتْ كبائر رجونا أن يُخَفِّفَ اللهُ منها ، وإن لم يُوجَدْ شيءٌ كُتِبَتْ له حسناتٌ ، ورُفِعَتْ له درجات»[(9)].

قال الإمامُ ابنُ القيمِ – رحمه الله ؛ وتَنَبَّهُوا لهذا جيدًا ، فَقَلَّمَا يَسْلَمُ منه أحدٌ – : "

وَكَاتِّكَال – أَوْ وَكَاغْتِرَارِ – بَعْضِهِمْ عَلَى صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَوْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ : يَوْمُ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ الْعَامِ كُلَّهَا ، وَيَبْقَى صَوْمُ عَرَفَةَ زِيَادَةً فِي الْأَجْرِ ، وَلَمْ يَدْرِ هَذَا الْمُغْتَرُّ ، أَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ صِيَامِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَيَوْمِ عَاشُورَاءَ – من المسلمين من لا يصلي ، ومن المسلمين من لا يصومُ رمضان ، ويَحْسَبُ أنه إذا ما صام يومَ عرفة أو يومَ عاشوراء فقد أفلح وأنجح ، كلا ، قال – ؛ وَهِيَ إِنَّمَا تُكَفِّرُ مَا بَيْنَهُمَا إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ – فَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، وَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ إِلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، تكفِّرُ الذنوبَ إذا ما اجتُنبت الكبائر ، قال – ، فَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، لَا يَقْوَيَانِ عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ ، إِلَّا مَعَ انْضِمَامِ تَرْكِ الْكَبَائِرِ إِلَيْهَا ، فَيَقْوَى مَجْمُوعُ الْأَمْرَيْنِ عَلَى

(9) انظر : فضل صوم يوم عاشوراء وفقهه وأسراره لأبي العباس الشحري – جزاه الله خيرًا – ، صـ14 .

تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ .

فَكَيْفَ يُكَفِّرُ صَوْمُ يَوْمِ تَطَوُّعٍ كُلَّ كَبِيرَةٍ عَمِلَهَا الْعَبْدُ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهَا ، غَيْرُ تَائِبٍ مِنْهَا ؟ ، هَذَا مُحَالٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَيَوْمِ عَاشُورَاءَ مُكَفِّرًا لِجَمِيعِ ذُنُوبِ الْعَامِ عَلَى عُمُومِهِ ، وَيَكُونُ مِنْ نُصُوصِ الْوَعْدِ الَّتِي لَهَا شُرُوطٌ وَمَوَانِعُ – تأمَّل هذه العبارة ، فلها شرحٌ سيأتيك قريبًا ، يقول العلامةُ ابنُ القيم – رحمه الله – في «الداء والدواء» : إن صومَ يوم عاشوراء يكفِّرُ – كما في الحديث – سنة ماضية ، يكفِّرُ جميعَ ذنوبِ سنة ماضية ، فهذا الحديثُ من نصوص الوعد التي من أتى بها كُفِّرَتْ عنه ذنوبُه ، ولكنْ ينبغي أن يُحَاطَ علمًا بأن تكفيرَ ذنوبِ جميعِ العام له شروطٌ وموانع ، ستأتيك – إن شاء الله – تبارك وتعالى – ، قال – ، وَيَكُونُ إِصْرَارُهُ عَلَى الْكَبَائِرِ مَانِعًا مِنَ التَّكْفِيرِ ، فَإِذَا لَمْ يُصِرَّ عَلَى الْكَبَائِرِ تَسَاعَدَ الصَّوْمُ وَعَدَمُ الْإِصْرَارِ ، وَتَعَاوَنَا عَلَى عُمُومِ التَّكْفِيرِ ، كَمَا كَانَ رَمَضَانُ ، وَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ مَعَ اجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ مُتَسَاعِدَيْنِ مُتَعَاوِنَيْنِ عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ – يعني : من أدرك رمضان والذي بعده ، وصلى الصلوات الخمس ، الصلاة تِلْوَ الصلاة ، وفعل – وهذا واقعٌ ومُشَاهَدٌ – من الذنوب الصغائر مع ترك الذنوب الكبائر ، فهذا داخلٌ في التكفيرِ – تكفيرِ الذنوبِ – ، قال – مَعَ أَنَّهُ – سُبْحَانَهُ – قَدْ قَالَ : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء : 31] . فَعُلِمَ أَنَّ جَعْلَ الشَّيْءِ سَبَبًا لِلتَّكْفِيرِ – تكفيرِ الذنوبِ – لَا يَمْنَعُ أَنْ يَتَسَاعَدَ هُوَ وَسَبَبٌ آخَرُ عَلَى التَّكْفِيرِ ، وَيَكُونُ التَّكْفِيرُ مَعَ اجْتِمَاعِ السَّبَبَيْنِ أَقْوَى وَأَتَمَّ مِنْهُ مَعَ انْفِرَادِ أَحَدِهِمَا ، وَكُلَّمَا قَوِيَتْ أَسْبَابُ التَّكْفِيرِ كَانَ أَقْوَى وَأَتَمَّ وَأَشْمَلَ – كلامٌ جِدُّ عظيمٍ ، يقولُ – رحمه الله تعالى – فيه : إن من المسلمين من لا يصلي ، بل إذا ما أتى رمضان ، فإنه يصوم ، والنَّبِيُّ ﷺ يقولُ : «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» ، فإذا ما ترك الصلاة بصيامِه هذا يكونُ قد غُفِرَ له تَرْكُها ، وهذا مُحَال ، فإن النَّبِيَّ ﷺ لم يقلْ : رَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ فحسب إذا اجتنبت

الكبائر مُكَفِّرٌ لجميع الذنوب ، وإنما قال : رَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ إِلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، هكذا مجتمعات ، فإذا ما أتى العبدُ بهذه كلِّها رجونا أن يكفِّر اللهُ – تبارك وتعالى – ذنوبَه الصغائر التي تقعُ بين هذا وهذا إذا ما اجْتُنِبَتِ الكبائر ، هذا معنى كلامه – رحمه الله – "[10]. اهـ

وقال العلامةُ ابنُ القيمِ – رحمه الله – في «الوابل الصيب» ؛ وهذا ما نختمُ به ، وهو طويلٌ بعضَ الشيءِ ، ولكنَّه في غاية الأهمية – : " وينبغي أن يُعْلَمَ أن سائرَ الأعمالِ تجري هذا المجرى ، فَتَفَاضُلُ الأعمالِ عند الله – تعالى – بتفاضُلِ ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها ، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفِّرُ تكفيرًا كاملًا والناقصُ بحسَبِه ، وبهاتين القاعدتين تزولُ إشكالاتٌ كثيرة ، وهما : تَفَاضُلُ الأعمالِ بِتَفَاضُلِ ما في القلوب من حقائق الإيمان ، وتكفيرُ العملِ للسيئات بحسَبِ كمالِه ونقصانِه .

– قال – وبهذا يزولُ الاشكالُ الذي يُورِدُه من نَقَصَ حظُّه من هذا الباب على الحديث الذي فيه : " إن صوم يوم عرفة يكفر سنتين ويوم عاشوراء يكفر سنة " .

قالوا : فإذا كان دأبُه دائمًا انه يصوم يوم عرفة ، فصامه وصام يوم عاشوراء ، فكيف يقعُ تكفيرُ ثلاثِ سنين كلَّ سنةٍ ، وأجاب بعضُهم عن هذا : بأن ما فَضَلَ عن التكفير يُنَالُ به الدرجات – كما تقدَّم – .

وياالله العجب ! ، فليت العبدَ إذا أتى بهذه المكفرات – يعني : بصومه يوم عرفة ويوم عاشوراء ، ليته إذا ما أتى بهذه المكفِّرات للذنوبِ – كلِّها أن تُكَفَّرَ عنه سيئاتُه باجتماعِ بعضها إلى بعض – ليتَ من أدرك صومَ يومِ عرفة الماضي ، وصام يومَ عاشوراء مع تاسوعاء الذي هو آتٍ – إن شاء الله – ، ليتَ من أدرك صيامَ هذا وهذا أن يُغْفَرَ له بعضُ ذنوبِه ، قال – ، والتكفيرُ –

(10) انظر : الداء والدواء بإشراف بكر أبو زيد ، صـ42–44 ، دار عالم الفوائد ، ط/1–1429هـ .

تكفيرُ الذنوبِ – بهذه مشروطٌ بشروطٍ موقوفٌ على انتفاءِ موانعَ في العملِ وخارجِه ، فإن عَلِمَ العبدُ أنه جاء الشروطِ كلِّها ، وانتفت عنه الموانعُ كلُّها ، فحينئذ يقعُ التكفيرُ ، وأما عَمَلٌ شَمِلَتْهُ الغفلة أو لأكثره وفَقَدَ الإخلاص الذي هو روحُه ولُبُّه ، ولم يُوَفِّ حقَّه ، ولم يُقَدِّرْه حقَّ قَدْرِه ، فأيُّ شيءٍ يُكَفِّرُ هذا العملُ – يعني : من الذنوب – ؟!

فإن وَثِقَ العبدُ من عمله بأنه وفَّاه حقَّه – يعني : أتقنه ، وأدَّاه على وجه الكمال – الذي ينبغي له ظاهرًا وباطنًا – وهو إخلاصُه لله – تبارك وتعالى – ، بألَّا يُصْرَفَ هذا الصومُ لغير الله – تبارك وتعالى – من وليٍّ أو ملكٍ أو ما أشبه ذلك ، قال – ، ولم يَعْرِضْ له مانعٌ يمنعُ تكفيرَه ، ولا مُبْطِلٌ يُحْبِطُه من عُجْبٍ أو رؤيةِ نفسه فيه أو مَنٍّ به أو يطلبُ من العباد تعظِيمَه به أو يستشرف بقلبه لمن يعظِّمُه عليه أو يعادي من لا يعظِّمُه عليه ، ويرى أنه قد بخسه حقه ، وأنه قد استهان بحرمته ، فهذا أيُّ شيء يُكَفِّر ؟! – معنى تقرير الإمام ابن القيم – رحمه الله – : من أدرك صومَ يومِ عاشوراء ، وقد أطال اللهُ في أجلِه مُدَّةَ السبعين ، فيكونُ قد صام يومَ عاشوراء مُدَّةَ خمسين أو يزيد ، رُبَّمَا يغترُّ هذا المغترُّ أنه قد فاق غيرَه ممن هو دونَه في السِّنِّ ، فلا يحصُلُ له التكفير مع ما بلغ من مُدَّةٍ في صيامِ عاشوراء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله – .

– قال – ومحبطاتُ الأعمالِ ومفسداتُها أكثرُ من أن تحصر ، وليس الشأنُ في العمل ، إنما الشأنُ في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه – ليس الشأنُ أن يُدْرِكَ المسلمُ والمسلمة صيامَ يومِ عرفة أو صيامَ يومِ عاشوراء ، وإنما المهمُّ : أن يحفظ هذا العمل من أن يُحْبَطَ – .

– قال – فالرياءُ – وإن دَقَّ – مُحْبِطٌ للعمل – والنبيُّ ﷺ أخبر في غير ما حديث أنه يخافُ على أمته الشرك الخفي وهو الرياء ، والرياءُ من اسمِه هو : عَمَلُ العملِ من أجل رؤيةِ الناس للعامل ، قال – ، وهو أبوابٌ كثيرة لا تُحصر ، وكونُ العمل غير مُقَيَّدٍ باتِّباع السنة أيضًا موجبٌ لكونه باطلًا – يريدُ – رحمه الله تعالى – أن يقول : إن العملَ المقبولَ الذي يتقبَّلُه الله – تبارك وتعالى

– من المتقين ، لا بد له من شرطين ، هما : أن يكون اللهُ – تبارك وتعالى – هو المقصودُ من هذه العبادة ، أن يُفْرَدَ هذا العملُ لله – تبارك وتعالى – ، فلا يُرِيدُ العاملُ بعبادتِه هذه ، من الصوم والصلاة والاستغاثة والذبح والنذر والاستعانة وغيرِ ذلك مما هو داخلٌ في مسمَّى العبادة ، ألَّا يريدَ بهذا وليًّا صالحًا أو ملكًا أو نبيًّا أو غير ذلك ، وإنما يريدُ بذلك المثوبةَ من الله – تبارك وتعالى – ، هذا الأمرُ الأول ، الأمر الثاني أو الشرطُ الثاني : هو أن يُتَابِعَ النبيَّ ﷺ في هذه العبادة ، فلا يُحْدِثُ في هذه العبادة شيئًا لم يكن فعله النبيُّ ﷺ ، ولك أن تُشَاهِدَ – وهذا جِدُّ خطيرٍ – صلواتِ المسلمين اليوم ، ففيها ما فيها من البدع ، ولك أن تَذْكُرَ على سبيلِ المثال : قولُ أكثرِهم إذا ما قال الإمامُ : سمع الله لمن حمده ، قالوا : ربنا ولك الحمد والشكر ، لم يَكُنِ النبيُّ ﷺ أن يقول ذلك ، وإنما قال : ربنا ولك الحمد أو غير ذلك من الصِّيَغِ الواردةِ عنه ، فلم يَقُلْ كلمة الشكر ، مع أنها كلمةٌ مطلوبة ، وأحدُ الصحابةِ لما صلَّى وعطس ، قال : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، نعم ؛ الصلاةُ على النبيِّ ﷺ مطلوبةٌ في كلِّ وقت ، ولها من الأجرِ الأجرُ الوفير ، ولكنْ ليس هذا موضِعُها ، كذلك الشكرُ ليس موضِعُه الصلاة ، وإن كانت الصلاةُ وهي ذكرٌ ، الشكرُ داخلٌ فيها ؛ فليتقِّ اللهَ المسلمون في عباداتهم ، وليعملوا على تصحيحها ؛ حتى ينالوا القبول لها ، قال – رحمه الله – ، والْمَنُّ به على الله – تعالى – بقلبه مُفْسِدٌ له ، وكذلك الْمَنُّ بالصدقة والمعروف والبر والاحسان والصلة مُفْسِدٌ لها ، كما قال – سبحانه وتعالى – : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة : 264] .

– قال – وأكثرُ الناس ما عندهم خَبَرٌ من السيئات التي تُحْبِطُ الحسنات ، وقد قال – تعالى – : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات : 2] .

فحذَّر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهرُ بعضهم لبعض ، وليس هذا

بردَّة ، بل معصيةٌ يحبط بها العمل وصاحبُها لا يشعرُ بها – من المسلمين من يأتي عَقِبَ الصلوات بالسنن الرواتب أو النوافل ، ويُكْثِرُ منها ، وهو غيرُ مُصَحِّحٍ لأصل العبادة ، يعني : عبادته فيها من البدع ما اللهُ بها عليم ، وهو رُبَّمَا لم يَنْتَبِه لذلك ؛ لأنه لم يأتِ بما قاله النبيُّ ﷺ على وجهِه ، وهو قولُه ﷺ : «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» ؛ لم يُتْقِنْ هذه الصلاة حقِّ إتقانِها ، وإنما قلَّد فيها الآباءَ وغيرهم ، ففعل ما فعل ، ولم يكن فِعْلُه موافقًا في النهاية لهديه ﷺ ، كثيرٌ من يفعلُ ذلك ، ويَظُنُّ أنها في حسناتِه ، وهي كذلك ، لكنْ لا يعلمُ أنه قد أَحْدَثَ في هذه العبادة من السيئات ما ربما يَقْضِي ويُحْبِطُ ما أتى به بالكلية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

– قال – رحمه الله – فما الظَّنُّ بمن قدَّم على قولِ الرسولِ ﷺ وهدية وطريقه قولَ غيره وهديه وطريقه ؟! ، أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر ؟! ، ومن هذا قولُه ﷺ : «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» "[11]. اهـ

قلتُ : فما الظَّنُّ بمن قدَّم على قولِه ﷺ وهديه وطريقه بصوم عاشوراء قولَ هواه بأن قال : أكذوبة عاشوراء ؟ ، أليس هذا قد حَبِطَ عملُه وهو لا يشعر ؟!

واعْجَبْ إذا عرفتَ أن سلفَ هذا الدَّعِيِّ فيما ذهب إليه هم الشيعةُ الروافض ؛ فإنهم ينكرون – مِثْلَهُ – صيام عاشوراء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم من المسلمين من يصومُ عاشوراء إذا أتى هذه الأيام ، ويتركُ صلاة العصر ، ويَحْسَبُ هذا المسكينُ أنه قد غُفِرَتْ له ذنوبُ العام الماضي ، وهو قد حَبِطَ عَمَلُه من حيث لا يشعر ، أي : حَبِطَ صيامُه هذا ؛ لأنه واقعٌ في هذا اليومِ بتركِه صلاةَ العصر ؛ فَاللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ حُبُوطِ الْأَعْمَالِ مِنْ حَيْثُ لاَ نَشْعُرُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلاَقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ، وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، اللَّهُمَّ

(11) انظر : الوابل الصيب بإشراف بكر أبو زيد ، صـ18–21 ، دار عالم الفوائد ، ط/1–1425هـ .

جَنِّبْنَا مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ ، جَنِّبْنَا مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ ، جَنِّبْنَا مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ ، ارْحَمْ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْمُسْلِمِينَ ، اشْفِ مَرْضَانَا وَمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ ، وَفِّقْ وُلَاةَ أُمُورِنَا إِلَى مَا تُحِبُّه وَتَرْضَى ، وَفِّقْ وُلَاةَ أُمُورِنَا إِلَى مَا تُحِبُّه وَتَرْضَى ، اللَّهُمَّ وَفِّقْ وُلَاةَ أُمُورِنَا إِلَى مَا تُحِبُّه وَتَرْضَى ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْفِئَةِ الْمُجْرِمَةِ الْغَاشِمَةِ فِي سَيْنَاءَ ، اللَّهُمَّ اقْطَعْ دَابِرَهَا ، وَاقْضِ عَلَيْهَا ، وَمَكِّنْ مِنْهَا ، اللَّهُمَ عَلَيْكَ بِهِمْ ، عَلَيْكَ بِهِمْ ، عَلَيْكَ بِهِمْ ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .